

على هامش النهر :

## ١ - في عالم القصة

بنت الشيطان ... محمود تيمور

للأستاذ سيد قطب

ليست هذه هي المرة الأولى التي أم فيها بالكتابة عن « تيمور » ثم أوثر الترتيب ، لأرجعه مرة أخرى لأنه يصعب عليك - وأنت تتحدث عن القصة - أن تغفل عمل تيمور . ولكن يصعب عليك أيضاً أن تقرر مكانه ، وأنت مستريح الضمير

رجل كالمويلحي - صاحب حديث عيسى بن هشام - لا يجد الناقد مشقة في تعيين مكانه . مكان « القنطرة » التي تمبر عليها القصة العربية من المقامة اللغوية ، إلى القصة الفنية ورجل كتوفيق الحكيم ، لا يجد الناقد مشقة في تعيين مكانه . مكان « الفنان » ، الذي يجمل القصة والرواية ، فصلاً من فصول الأدب العربي ، يقف في صف واحد مع بقية فصوله ،

والتدين في هذا العصر شيء عتيق يثير الضحك ويدعو إلى السخرية . وأهل التدين في غالب أمرهم قوم شذاذ الأفهام لم يدرسوا فلسفة ولم ينشدوا علماً . فكيف يا أيها القراء النجب تتخذعون بأقوالهم وتنساقون إلى الأخذ بأرائهم ؟ إن خليلكما بكم ألا تضيخوا إلى كاتب يحسب نفسه واعظاً في مسجد أوراغيا في كنييسة ، ولا أقصد أن أعز صديقي الدكتور زكي بإيراد عبارته تلك ...

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً من مناظرنا الأفاضل ، أن يقفونا تلقاءهم ذلك الموقف المضحك الذي لن يجوز باطله على أحد ! يتجدثون عن حرية الفكر . فإذا أصابهم من ضروب التضيق يا ترى ؟ !

لينتظروا . فسنجدتهم عن حرية الفكر وما لقي لإخوانهم الذين سبقوهم إلى القول بوحدة الوجود من ضروب الهوان ما أكثر الأشياء الظريفة التي كان ينبغي أن نلفت إليها أنظار القراء لولا ضيق القام

( للحدث بقية )

دميني فضبة

التي كانت من قبل مقررة ، والتي لم يكن الأدب العربي يترف بغيرها من الفصول . يتفق الجميع على هذا من ناحية البدء ، ثم يختلفون في تقويم عمله بعد ذلك كما يشاءون

وقد لا يكون الإنسان - في عالم القصة - قنطرة كالمويلحي ، ولا مقرراً لفصل جديد في كتاب الأدب العربي كتوفيق الحكيم ؛ ثم يكون له بعد ذلك مكانه المعلوم

فالمازني مثلاً قد اشتغل بالقصة الطويلة كإبراهيم الأول وإبراهيم الثاني ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وبالقصة القصيرة كقصصه الكثيرة في خيوط المنكبوت ، وصندوق الدنيا وسواها . ومكانه في هذه القصص وفي سواها هو مكان « الأديب » الذي يستفيد مما يقرأ أعظم الفائدة ، ويتأثر به فيما يكتب كل التأثر . ولكنه بطبع الجميع بطابع خاص متميز والمازني - بهذه الصفة - يمكن أن يعد قنطرة لنوع من القصة « الواقعية الشاعرية » قنطرة لأصحاب المواهب الخالقة ، يتأثرون بطريقةه الجيدة ، ويبعدون من ذات أنفسهم بلا اعتماد على أصل بلهمهم

وهناك شبان يحاولون ، لم يقرر لهم بعد مكان ، فينهم وبين تقرير مذاهبهم في عالم القصة خطوات وتجارب وتعديلات . من كتاب القصة القصيرة الأستاذ « يوسف جوهر » - وهو ينسج على متوال جي دي موباسان - في حرارته وشاعريته ، ولكن « جسم القصة » عنده ما يزال بعد ضئيلاً ، وما يزال مكرراً ، وكثيراً ما يحس القارئ بعد نهاية القصة أن حرارتها البراقة قد خدعته ، وأنه لم يخرج منها بشيء كبير ، لا من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية اللغات الفنية في العرض ، ولا من ناحية الرصيد الإنساني الذي هو أتمن ما في العمل الفني

ومنهم الأستاذ « صلاح ذهني » - وهو لا يزال يقبس من طرائق مختلفة ، وله توفيقاته في أحيان كثيرة . ولكن بنقصه التركيز ، كما ينقصه روح الإبداع الذي يرفع القصة من الحادثة اليومية إلى المجال الإنساني . وقصصه في حاجة كذلك إلى الحرارة التي تشعنا أنه يحس بما يكتب ، وليس مقفراً جابراً يصف الحوادث

ومن كتاب القصة الطويلة الأستاذ « باكثير » وقصصه - لها طلاوتها والحياة واضحة فيها - ولكن لا يزال ينقصها تمكن الروح القصصية ، التي تنسى القارئ أن هذه قصة

المزوجة بالشاعرية ، حتى لتقرب من الرومانتيكية في بعض الأحيان . كافي عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب في الأرياف ، وزهرة العمر - وإن ظلت هذه الواقعية مرسومة بمسح « الفكر » لأن هذه هي السمة الغالبة على طبيعته - ولكن قصصه ورواياته تستمد دائماً من « الفنسيق الفني » والإشعاع الشعري ، ما تموض به الحياة الحقيقية .

وما يتيح لها أن تنشى مدرسة معروفة السمات ورجل كالمازني يمثل « الأديب » الذي يفيض على شخص قصصه حركة حية سريعة ، في حساسة شاعرية قوية ، كافي إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثاني قصته الأساسية ، أو يفيض عليها الحركة في دعابة ساخرة كما في القصص القصيرة

ومهما قيل من تأثر المازني لبعض كتاب القصة الغربيين ، واقتباسه من طرائقهم وموضوعاتهم كذلك . فالذي يبقى له بعد هذا كله ليس بالقليل . إنه يتأثر ويقتبس في اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة ، يبدو فيها طابع خاص ، هو دليل الشخصية الفنية ...

وقد لا يكون المازني خالقاً ولا مبتدعاً لموضوعاته وطرائقه ، ولكن هذا لا ينفي أن له طابعه الشخصي في كل ما يكتبه . هذا الطابع هو الحركة السريعة ، والانتباه إلى دقائق الانفعالات النفسية ، وإبراز الاستجابات التي يمر عليها الكثيرون غافلين . مع تأثره بكشوف علم النفس الحديث ولا سيما في مجال « التحليل النفسي » هذا التأثر الذي قد يطنى على العمل الفني في بعض الأحيان ، كما في « ثلاثة رجال وامرأة »

فما مذهب تيمور تجاه هذه المذاهب أو سواها في القصة ؟ يعسر عليك أن تسلك في الواقعية الضيقة التي يمثلها عيسى ابن هشام . إذ أن فيه قسطاً من الشاعرية والتلون الفني . ويعسر عليك أن تسلك في « الواقعية الشاعرية » التي يمثلها للمازني ، لأن الحركة في فنه وثيدة ، والألوان النفسية باهتة ، والشخصية الإنسانية لا تنصرف تصرف الأحياء . ويعسر عليك أن تسلك في « الفنية الرمزية » التي يمثلها توفيق الحكيم لأن الفكرة الفلسفية والمعاني الرمزية لا تبرزان في أعماله

فتيمور لا هو الذي يرسم شخصيات محلية كالويلحي ، ولا هو الذي يصور نفوساً آدمية كالمازني ، ولا هو الذي يخلق

وتخيّل له أنها قطعة من الحياة تقع الآن . وليس مرد هذا إلى تقص الحياة ، ولكن إلى تقص الروح القصصية ، فهو ما يفتأ بين حين وحين ينهب القارىء إلى أنه يقص عليه ، ولا بدعه يستغرق في القصة وينساه !

ومنهم الأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ عادل كامل ، وكلاهما بخطو الخطوات الأولى ؛ ولكنها - فيما يبدو - خطوات ثابتة وثيقة . تكفي لإثبات وجودها في عالم القصة ، وإن لم تثبت لها بعد مذهباً مقررراً ينسج غيرهما على منواله ؛ إلا أن هذا لا ينفي أنهما في الطليعة - على تفاوت بينهما - في طليعة كتاب القصة الشبان بلا جدال

وهكذا نجد - بكل من يشتغل بالقصة في مصر مكانه المعلوم في هذا العالم . فأين نضع « تيمور » بين هؤلاء ؟ لا هو القنطرة بين طور من أطوار القصة وطور كالويلحي ، ولا هو القنطرة بين التأثر والابتداع - مع وضوح الذاتية الشخصية والطابع المميز - كالمازني . ولا هو الفاشيء الذي لم يزل أمامه المجال منفسحاً للتمكن والسجال

\*\*\*

وهذا كله من ناحية الشكل . فأما من ناحية المذهب والطريقة ، فالخيرة كذلك واقعة رجل كالويلحي قصاص واقى بالمعنى الضيق للواقعية . وهو مع ذلك قد استطاع أن يرسم عدة شخصيات إنسانية للمعصر الذي كتب فيه القصة ؛ وأن يصور البيئة التي عاشت فيها هذه الشخصيات المحلية : الباشا ، والعمدة ، والمحامي ، والنائب ، والمشايخ ، وغيرهم من الشخصيات التي رسمها في حديث عيسى ابن هشام . وهم آدميون لا تشك في آدميتهم ، وواقعيون - بالمعنى الضيق - لا ترتاب في واقعتهم ؛ مع شيء من السخرية والدعابة ، تحسبان لهذا القصاص في عالم الفنون

ورجل كتوفيق الحكيم ، قد تقرر مذهبه - إلى اليوم على الأقل - فهو في التمثيلية « الفنان » الخالق الذي يبدع شخصه من « ذهنه » ليؤدوا له فكرة فلسفية خاصة . وهم - على هذا الوضع - أشخاص صحاح منطقيون مع طبيعتهم ، مستقيمون من أول التمثيلية إلى آخرها مع الفكرة التي خلقوا ليؤدوها . كما في أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجاليون ، وسليمان الحكيم . أما في القصة فهن يتخرف عن هذا المذهب إلى شيء من « الواقعية »

طبيعية حتى لتكاد تقول : هذا مخلوق حي . ولكن ما تلبث أن يخلف أملاك بحركة تكشف لك أن ما أمامك إنما هو تمثال من الشمع ، بحركة المؤلف حركة خاصة ، لأنه توهم - من التحليل النفسى - أن الناس يتحركون هكذا في هذا المجال ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية - وهي محاولة لو أفلحت لأنشأت فناً إنسانياً وقومياً رفيعاً - ولكنه فيما يخيل إلى بعيد كل البعد عن الناس وعن البيئة . فالناس - حيث كانوا - لا يتصرفون هذه التصرفات . والناس في مصر ، ليسوا كما يتوهمهم المؤلف ، لا في طبيعتهم ، ولا في أحاديثهم ، ولا في خلجاتهم النفسية ، ولا في سمة من السمات المحلية الكثيرة التي تبرز طا بهم

إنه لا يخطر لهذه الشخصوس مرة واحدة أن تنفعل انفعالاً قوياً ، كما يقع الأدعيين - وحين تنفعل يبدو التكاف والبعد عن الحقيقة - وهي غالباً « سهتانة » كما يقول العوام ، حتى في فورات الحب ودفعات الانتقام . والحركة العنيفة ليست مطلباً فنياً في ذاته ، ولكنها علامة من علامات الحياة تصدر من البنية الحية في مياعدها ، فتدل على الحياة الكامنة فيها

\*\*\*

و « بنت الشيطان » مجموعة قصص تبدأ بأسطورة تحمل هذا العنوان . وتحوى غيرها سبع قصص أخرى وتلج في هذه الأسطورة محاولة فلسفية لإبراز فكرة خاصة ، على نحو ما يصنع توفيق الحكيم . ولكن المدى متناول . إن الحركة القومية السريعة ، والبراعة الفنية اللبقة كانتا خاصتان من خواص العمل الفني عند توفيق ، وكاتهما تتوارى في هذه المحاولة ، فتظل باهتة اللون ، وانية الحركة ، حتى تنتهي الأقصوصة وفي نفسك منها ظلال خفيفة تنمحي بمد قليل

« بنت الشيطان » طفلة آدمية ، اختطفها زعيم الشياطين ، لينفذ وصية سلفه العظيم ، في أن يصنع شيئاً ، يثبت به أن الشيطان قادر على القيام بشيء آخر غير الشر الذي اشتهر به . فهو يحاول أن بنشئها بعيدة عن الشر والألم في قصر مسحور

ولكن أميراً شاباً مقاصراً يسمع بخبرها ، فيحاول وينجح في الاتصال بها واختطافها ويفتح عينها على مباحج الحياة الدنيا ويوقظ فيها غرائزها - بعد أن كانت نائمة - فإذا ردها إلى القصر . اشتاقت أن تعود إلى دنيا الشرور الإنسانية ، مؤثرة

شخصاً فنية كتوفيق الحكيم . ولا هو مع ذلك كله القصصى الناشئ الذى تستطيع أن تدعه إلى التركيز والوضوح ! وقد كتب بعضهم يقول : إنه يلتفت إلى « العقل الباطن » في سيرة أبطاله وتصرفاتهم ويستخدم كشوف « التحليل النفسى » كما في قنابل وأبو شوشة والوروك وكتب بعضهم يقول : إنه يرسم « نماذج بشرية » كما في نداء المجهول وسهاد

وهذا وذلك حق من حيث هو نية وقصد . ولكن ما أثره في العمل الفنى . إن قيمة القصة لا تقوم على أساس أن القصص ينتفع بالمباحث العلمية . فهذا قد يفسدها في بعض الأحيان . ولا على أساس أنه يحاول رسم « نماذج بشرية » فالهم هو صدق هذه النماذج وحيويتها

وتيمور وفق في بعض الأحيان في هذا الغرض أو ذلك ، ولكن هذا التوفيق لم يكن في تلك المواضع التي عينوها

فن أظهر الالتفاتات إلى « العقل الباطن » السليمة من التكلف والاصطناع والتي لم تؤثر على التنسيق الفنى للقصة ، التفاتاته في : « زمان الهنا » و « غانية الحانة » و « انقلاب » في مجموعة « فرعون الصغير » . ومن أظهر النماذج البشرية : السائحة الأمريكية في قصة « فرعون الصغير » و « رجل رهيب » في هذه المجموعة أيضاً . ومن الغريب أن تكون هذه المجموعة قد صدرت سنة ١٩٣٩ . بينما المجموعة الأخرى : « بنت الشيطان » وقد صدرت سنة ١٩٤٤ تتخلف عنها كثيراً في مميزات الفنية

ولكن أى تحليل نفسى . وأية نماذج بشرية ؟ لطالما خيل إلى وأنا أجول بين شخصوس تيمور أننى في « متحف الشمع » فتماثيل الشمع هي التي تمثل هذه الشخصوس أوضح التمثيل : فلا هي التماثيل الفنية يتصرف فيها الفن كما يشاء ليؤدى فكرة فنية أو ليمثل لحظة نفسية . ولا هي الأجسام الحية التي تجرى فيها دماء الحياة ، فتتصرف تصرف الأحياء . إنها محاكاة للطبيعة وفيها قسط من الفن في الدقة والتلون ، ولكنها ليست بمد من الأحياء !

وكثيراً ما يمجرك وأنت تتأمل شخصوس تيمور وتصرفاتهم وطريقة حديثهم أن تردم إلى أى جنس من أجناس الأدعيين في أى زمان أو مكان . وقد يسير بعضهم في مبدأ الأمر سيرة

الموسيقي غارقاً تحت حمل من الملابس القديمة ، فيهز يده فينهار ا  
وهكذا نجد في القصة الأولى ظلالاً إنسانية ، وتحليلاً  
نفسياً ، وفي الثانية انفعالات نفسية وسخرية لطيفة . وكلاهما  
تنبع من قلب إنسان ، ولكنه إنسان يؤثر اللطف والرقّة على  
الإنفعال والحياة : صحبته ابتهامة باهتة . وغضبته سحابة  
طارئة . ووثبته خطورة دائية . وإشارته إجماع خفيفة . ولكنه  
إنسان

\*\*\*

هذه الظلال الإنسانية التي تبدو في بعض القصص ، مع شيء  
من الشاعرية اللطيفة ، هي وحدها التي تجعل الناقد لا يستطيع  
أن يغفل فن تيمور وهو يتحدث عن القصة ، مهما كان في هذا  
الفن من قوتور  
أيها القارئ . لقد حيرتكم فيما أحسب بهذه الأحكام  
المتناقضة !

إنها صورة من نفسى تجاه فن تيمور . سيم قطب

إياها مع ذلك العالم الخير الخالي من الألم والشورور  
والفكرة - كما ترى - جيدة وبراقة . ولو تولاهها قلم  
كقلم توفيق الحكيم ، لأخرج منها قطعة فنية منسقة . ولو  
تولاه المازني لأخرج منها قطعة فكاهية ساخرة  
ولكنك تقرأها هنا فتمججك الفكرة ثم تنقصك الحرارة  
كما ينقصك التنسيق الذي يقرر الحركة المناسبة في موعدها  
المناسب ، وهناك مواقف بين الشاب والفتاة تتوقع فيها حركة  
ويرتفع نبضك في إنتظارها ، ولكنها تمر كما لو كانت في سنة  
أو لو كنت متفرجاً بغير حماس !

وفي المجموعة سبع قصص أخرى من النوع « الواقعي » خير  
ما فيها قصة « الترام رقم ٢ » ، وقصة : « الجنتلان »  
[ وفي الأولى يصور فتاة مشردة تركب الترام بلا أجر ؛ فيضيق  
بها « التذكري » صرّة بعد صرّة ، حتى يزيد ضيقه بها فيدفعها  
فتسقط ، ويكاد يقتلها الترام لولا من يأخذ بيدها في الطريق .  
وهنا يسمع منها التذكري أنها لم تذق الطعام منذ أمس ، بينما  
يتطلق الترام

منذ ذلك الحين يذب في نفسه عطف على الفتاة ، ولكنها  
تتبعين بعد قليل أن هذا اللطف ليس خالصاً . لقد تنهت القريرة  
إن هذا التذكري يمشى أعزب منذ أن ماتت زوجته ، تقوم  
بشئونه خادمة عجوز . فهو منذ اليوم ضيق الصدر بهذه الحياة ،  
وهو مشتاق لأن يمشى على الفتاة . وحين يمشى عليها بعد أيام  
لا يدفعها من الترام ، بل يدس في يدها تذكرة عند صعود  
الفتش ، وحين يقف الترام يشتري لها رغيفاً محشواً بالأدم ،  
ويسألها عن حياتها أسئلة متقطعة  
حتى إذ كان الشوط الأخير نزل يقصد داره ، وقدمان  
تدبمانه ... إلى الدار ! لقد أحست الأنثى بفرزتها ما الذي يعطفه  
عليها ، فسارت على خطاه !

وفي الثانية يرى في مطعم اعتاد أن يرتاده . دمية تمثل  
« الجنتلان » يسك بيده قاعة الطعام ، فيتخيّل هذا الجنتلان  
حياً ، ويقابله بالتضايق منه والتبرم به ، لما في وقتته من تكاف  
وما في « نفسه ! » من تصنع ، فيهجر المطعم من أجله . وأخيراً  
يفلس المطعم ويباع ليهودي في شارع « جامع البنات »  
ويعر به ، فيراه هناك ذليلاً ممسكاً بيده عينة بطاقات . فيستريح  
لذلة الجنتلان . ثم يزداد تدهوره ، حتى يمشى به في شارع

## دار الكتب الأهلية

تشارك في إحياء العيد الأثني لفيلسوف أبي العلاء المعري

نقدم لأول مرة

## رسالة الهناء

لأبي العلاء المعري

جزءان في سفر واحد

شرح وتحقيق الأستاذ الكبير

طاهر كبريتي

الذي حجب الأدب الملأني إلى كل قارئ

كما حجب القراءة إلى كل ناشئ

الثمن ٣٥ قرشاً صاعماً - وللبريد ٦٣ ملياً

يطلب من الناشر

دار الكتب الأهلية

بميدان الأوبرا - ت ٤٩٥٦١

وفي السودان من مكتبة كردفان بالأبيض

وفي العراق من مكتبة الزوراء بسوق السراي ببغداد